التأثير والتأثر في النحو

التأثير الأجنبي في النحو والصرف

الهنود :

- هناك تشابه في مجال النحو في بعض الجزئيات بين الهنود و العرب مثل :

أ- تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف .

ب- التمييز بين الحروف الأصلية (الجذر أو الأصل) والحروف المزيدة .

ج- الاهتداء إلى نوع من الأسماء يجمع خصائص الاسم والفعل ، وتسميته " اسم الفعل " .

د- الاختلاف حول الحروف ، وهل لها معنى في ذاتها أو في غيرها. ولكن أمثال هذه الجزئيات موجودة في لغات كثيرة ، وبعضه تفرضه طبيعة اللغة موضوع الدراسة .

- أما ما يحاول د. عبد الرحمن أيوب إثباته من وجود تأثير هندي في المنهج والتبويب على كتاب سيبويه ، وأن ذلك يتمثل في العناية بدراسة الأصوات وترتيبها ، وعدم الاهتمام بالنظريات والتقسيمات العقلية ، فيرى د. أحمد مختار عمر أنه يمكن مناقشته بما يأتي :

- أن هذه الدعوى مبنية على أساس وجود مدرسة نحوية هندية واحدة ، أو اتجاه نحوي هندي واحد، وهذا خلاف الواقع ، فالمدارس الهندية متعددة ، ومناهجها مختلفة ،وقد أحصى د. أحمد مختار عمر نحو عشر مدارس هندية في الفترة التي سبقت أو عاصرت نشأة الدراسة اللغوية عند العرب .
- وإذا كان د. أيوب يعني خصائص المدرسة البانينية التي كُتِبَت لها الشهرة على سائر المدارس الهندية ، فليس هناك وجه شبه بين منهج هذه المدرسة ومنهج سيبويه في الكتاب ، أو منهج أي نحوي عربي جاء بعد سيبويه حتى يومنا الحاضر . وأمامنا كتاب بانيني المشهور ينطق بذلك .
- أن النحو الهندي لم يتخلص من سلطان الفلسفة – كما صرح د. أيوب – واعتبر ذلك فرقا أساسيا بين الهنود واليونان .

- ومن يرجع إلى بعض المناقشات النحوية عند الهنود يجدها فلسفة صِرفا .
- ولا يتفق د. أحمد مختار عمر مع د. أيوب في قوله إن كتاب سيبويه يخالف المتأخرين من ناحية عدم تأثره بالمنطق ، وعدم اهتمامه بالنظريات والتقسيمات العقلية .

اليونان :

- ليس هناك مجال للقول بتأثير يوناني على العرب في مجال الأصوات والمعجم. وما يقال عن تأثير يوناني مقصور على مجال النحو فقط .
- وتتلخص الآراء حول هذه القضية فيما يأتي :

١. وجود تأثير يوناني مباشر على النحو العربي منذ نشأته .
٢. وجود تأثير يوناني غير مباشر – عن طريق السريان – على النحو العربي منذ نشأته .
٣. وجود تأثير يوناني – سواء كان مباشرا أو غير مباشر – على النحو العربي في مرحلة متأخرة لا تشمل مرحلة النشأة .
٤. نفي التأثير اليوناني كلية .

- وأغلب الباحثين يذهبون إلى القول بتأثير يوناني في فترة متأخرة من فترات النحو العربي سواء كان التأثير مباشرا أو غير مباشر ، وسواء كان التأثير عن طريق النحو اليوناني أو المنطق اليوناني .

- ويعد من أشد المتحمسين لإثبات التأثير اليوناني بشقيه النحوي والفلسفي د. إبراهيم بيومي مدكور الذي نشر بحثا بمجلة الأزهر بعنوان " منطق أرسطو والنحو العربي . ذهب فيه إلى تأثر النحو " بالمنطق الأرسطي من جانبين أحدهما موضوعي ، والآخر منهجي."
- ويمثل للموضوعي بتقسيم أرسطو الكلمة في مقدمة كتاب "العبارة " إلى اسم وفعل ، وإشارته في كتاب آخر له إلى قسم ثالث هو الأداة . وإذا انتقلنا إلى كتاب سيبويه نجده يبدأ بتقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف ، ويعرفها تعريفا يحاكي مِن بعض النواحي التعريف الأرسطي .
- أما التأثير المنهجي فقد رآه في اهتمام العرب بالقياس النحوي ، ومحاولة فلسفته ، والبحث عن أركانه ، وتحديد شرائطه ، كما رآه في مبدأ العلة الذي كان له شأن في النحو العربي ، وفي المنطق الأرسطي ، وفي نظرية العامل النحوية التي هي وليدة مبدأ العلة الفلسفي .
- و يسلم د. أحمد مختار عمر بتأثير المنطق والفلسفة (بوجه عام ، ولا يقصره على اليونانيين ، فقد كان للهنود كذلك منطق وفلسفة ، وكان لغير الهنود منطق وفلسفة) على النحو العربي ، ولكنه يتردد كثيرا في قبول الرأي القائل بوقوع النحو العربي تحت سيطرة الفلسفة اليونانية . ، فمجرد التشابه في تقسيم أو أكثر، أو في بعض المصطلحات لا ينهض – من وجهة نظره – دليلا لإثبات مثل هذه الدعوى العريضة . والأمر – من وجهة نظره – قد لا يخرج عن مجرد التشابه بطريق المصادفة ، أو عن التأثر الجزئي ابتداء من أواخر القرن الثالث حيث ظهرت الترجمات الأولى للأعمال الفلسفية اليونانية، ولا يصح أن نغفل في هذا المقام التأثير المعتزلي على المناهج النحوية العربية وبخاصة على نظرية العامل .

السريان :

- يُثبت الكثيرون وجود تأثير سرياني على النحو العربي ، سواء بطريق غير مباشر عن طريق الترجمات اليونانية التي تمت باللغة السريانية ، أو عن طريق الكتب النحوية التي وضعها السريان للغتهم .
- وممن يثبت التأثير السرياني د. إبراهيم مدكور في مقاله السابق الإشارة إليه . ويرى جورجي زيدان نفس الرأي .
- وعلى الرغم من وجود هذا الاحتمال بتأثير سرياني على النحو العربي ، فلا يكفي – من وجهة نظر د. أحمد مختار عمر – أن يتخذ مجرد السبق الزمني ، أو التجاور المكاني ، أو التشابه الجزئي دليلا على وجود تأثير وتأثر . فقد سبق أن رأينا أن النحو العربي قد مر بمراحل تطويرية كثيرة قبل أن يصل إلى مرحلة النضج ، وأن الفترة الزمنية بين نشأة النحو وكتاب سيبويه تزيد على مائة عام ، وهي كافية جدا لخلق نحو عربي ناضج متطور بدون النقل الحرفي من نحو آخر .

- وإذا كنا قد ترددنا في إثبات الأثر السرياني على النحو العربي ، فيبدو أن هناك نقطتين لا مجال لإنكار أثر السريان فيهما على العرب وهما :

١. أقدم مثل لتأثير السريانية على العربية هو الأبجدية النبطية التي استعارها العرب لكتابتهم ، والخط النبطي مشتق من الآرامي ، والإملاء العربي القديم قريب من الإملاء الآرامي ، ويظهر ذلك في الخط الكوفي .
٢. نشأة الحركات الإعرابية في فجر الإسلام ، التي ينسب وضعها إلى أبي الأسود الدؤلي ، وهي في الحقيقة مأخوذة عن السريان ، فقد استخدم أبو الأسود طريقة الشكل بالنقط ، وكانت إحدى طرق الشكل عند السريان ، وهي الطريقة التي اتبعها النساطرة .

احتمالات التأثير العربي في النحو

- كما أن العرب قد تأثروا بغيرهم ممن سبقهم ، فقد أثروا في غيرهم بعد أن تمثلوا الثقافات الأجنبية المتنوعة ، وقد امتد تأثيرهم – أو احتمالات تأثيرهم على الأقل – إلى شعوب كانت أسبق منهم في الدرس اللغوي مثل الهنود ، والسريان ، والمصريين .
- يبدو أثر العرب واضحا في الدراسات النحوية الآتية :

١. النحو السرياني :

- بعد أن اتصل السريان بالعرب عندما دخل العرب بلادهم فاتحين ، وعدت اللغة العربية على لغتهم أثر ذلك على السريان فوضعوا نحوهم على نمط النحو العربي ؛ لأنه أقرب إلى لغتهم من النحو اليوناني . وكان النحاة السريان في القرن الثاني عشر ، وما بعده يعكسون مناهج المدارس العربية الشهيرة في البصرة والكوفة . وقد وضع ابن العبري (١٢٢٦- ١٢٨٦م) كتابا كبيرا في النحو سماه " كتاب الأشعة " على غرار كتاب المفصل للزمخشري (٥٣٨هـ = ١١٤٣م) ، ويلاحظ أن ابن العبري في كتابه كان يتبع تقسيمات النحاة العرب .

٢ـ النحو القبطي :

- تأثر النحاة الأقباط في كتبهم النحوية بمجهودات العرب في ذلك . وبتصفحنا لكتب النحو القبطية المتقدمة نجد تشابها عجيبا بين المنهجين .
- وكان هذا سبيل النحاة جميعا حتى ضاق بهم مؤلف قبطي آخر اسمه الشيخ الوجيه القليوبي فقال في مقدمة كتابه المسمى " الكفاية " : " وقد وضع في ذلك (النحو القبطي) مقدمات ، إلا أن المفسرين لغلبة أحكام تصريف اللغة العربية عليهم قاسوا أكثر أحكام القبطي عليها ، وليس الأمر كذلك ، بل من شرط المخرج من لغة إلى أخرى أن يجرد ذهنه عن اللغة الغالبة ، ويذهل عنها ، ثم يذوق اللغة المخرجة ، ويستحضر جميع أجزائها ، ويستقري مواضع استعمال أدواتها ..."
- **٣ـ النحو العبري :**
- **يتلخص فيا يأتي :**
- ازدهار الدراسات اللغوية العبرية بعد ظهور الإسلام ،وكان النموذج العربي هو الذي احتذاه العبرانيون ثم طوروه .
- وجود شواهد مؤكدة أن النفوذ العربي كان موجودا حتى منذ اللحظة الأولى للنشاط اللغوي العبري ، ويبدو ذلك في أسماء الحركات الثلاث .
- ظهور الثقافة العربية في مؤلفات أبي يوسف القرقساني النحوية الذي تتلمذ على مدارس بغداد .
- تأثير الثقافة العربية على مؤلفات يهوذا بن حيوج النحوية .
- تأليف أبي الوليد بن جناح لكتاب نحوي عبري أسماه " اللمع " يسير على النمط العربي .